المقتطف

الجزء الرابع من السنة العشرين

ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٦ الموافق ١٨ شوال سنة ١٣١٣

النار والسيف في السودان

ظهر في هذه الاثناء كتاب سلاتين باشا وفيهِ تاريخ ما جرى في بلاد السودان قُبَيل ظهور المهدي وبعدهُ إلَى العام الماضي وكينية انتقاض تلك الممالك الواسعة عَلَى الحكومة المصريَّة بواسطة رجل قام من بين العلماء الزهَّاد وانتضى السيف فقتل الالوف وخرَّب البلاد فطاعتهُ قبائل العرب والزنج وصدَّقت دعوتهُ وكادت تعبدهُ . ولما كان الكتاب كبيرًا لا ترجى ترجمتهُ إلَى العربيَّة رأينا ان نلخص بعض فصولهِ تلخيصًا في مقالتين او ثلاث لما فيها من العبَر والحقائق ٱلَّتي تستحق ان تدوَّن في سجلات القرن التاسع عشر

سلاتين باشا رجل نمسوي ساح في بلاد السودان سنة ١٨٧٤ وهو فتىً في الثامنة عشرة من عمرهِ فبلغ الخرطوم وسار منها جنوبًا حتى بلغ الدرجة الرابعة عشرة من العرض الشمالي في بلاد كردفان . وثار العرب سكان تلك البلاد حينئذٍ عَلَى الحكومة المصريَّة لثقل الضرائب عليهم فأُمر بالعودة الى العُبَيِّد ثم عزم ان يضرب في بلاد دارفور غربًا وكان اسمعيل باشا ايوب مدير عموم السودان حينئذٍ فأمر ان لا يتوغل الاجانب فيها خوفًا عليهم من اهاليها فعاد سلاتين إلَى الخرطوم وتعرَّف فيها بامين باشا (وكان اسمهُ حينئذٍ الدكتور امين) . وكان غوردون باشا مدير عموم المديريات الاستوائيَّة فكتبا يستأذنانهِ بالسفر اليهِ فجاءهما الجواب بعد شهرين يدعوهما اليهِ الى مدينة لادو وهي عَلَى خمس درجات من خط الاستواء شمالاً واليها تنتهي سلطة المهدي الآن . وكانت عائلة سلاتين باشا قد كتبت اليهِ من قبلُ تحثهُ على العودة إلَى بلادهِ فلبى طلبها وعاد لكنهُ أوصى الدكتور امين ان يذكرهُ لغوردون باشا فذكرهُ لهُ وكان ذلك سبب استدعاء غوردون باشا لهُ كما سيجيء .

وأنعم على الدكتور امين بلقب بك وعين مديرًا للادو ثم عيّن مديرًا عامًا لمديريات خط الاستواء حينما تركها غوردون باشا نبقي فيها إلى ان انقذهُ منها المستر ستانلي الرحالة الشهير سنة ١٨٨٩. وعاد سلاتين إلى بلاد النمسا فبلغها في ختام سنة ١٨٧٥

وجاءهُ كتاب من غوردون باشا في اواسط سنة ١٨٧٨ يدعوهُ إلى السودان وكان حينئذٍ ملازمًا في الجيش النمسوي في بلاد الهرسك فلبى الدعوة في آخر تلك السنة وقام من تريستا في الحادي والعشرين من دسمبر وكان لهُ من العمر حينئذٍ اثنتان وعشرون سنة وجاء القاهرة وسار منها إلى سواكن وكان فيها علاء الدين باشا فرحّب بهِ. وسار من سواكن إلى بربر راكبًا على جمل ورأى هناك ذهبيَّة في انتظارهِ فركبها وسار بها إلى الخرطوم فبلغها في ١٥ يناير سنة ١٨٧٩ ورحّب بهِ غوردون باشا وانزلهُ في بيت قريب من قصرهِ ثم عينهُ مفتشًا ماليًا وامرهُ ان يطوف في البلاد ويبحث في شكاوى السودانيين الذين كانوا يأبون دفع الضرائب. فذهب إلى سنّار وفازوغلي وتفقد احوال البلاد فرأى ان الضرائب غير موزعة بالقسط فهي كثيرة ثقيلة على الفقراء وقليلة خفيفة على الاغنياء بحسب مقدرتهم على رشوة المأمورين وان جانبًا كبيرًا من المال والعقار معفىً من الضرائب لغنى اصحابهِ واعتمادهم على الرشوة فتُبتَزّ اموال الحكومة من الفقراء والمساكين . واكثر ما يحدث من خروج الناس على الحكومة انما سببهُ جباة الاموال واكثرهم من الجيش غير المنظم (الباشي بزوق والشائقيَّة) فانهم لا يهتمون الَّا بابتزاز الاموال لانفسهم . ورأى ان املاك المأمورين معفاة غالبًا من الضرائب ولما سأل عن سبب ذلك قيل لهُ انها أُعفيت لان اصحابها خدموا الحكومة. وكانوا يستاؤون منهُ اذا ابان لهم ان المأمور مأجور بخدمتهِ يتقاضى اجرتهُ كل شهر. ولما رأى انهُ لا يستطيع اصلاح الحال استعفى من منصبهِ فقبل غوردون باشا استعفاءهُ وعينهُ مديرًا لمديريَّة دارة في الجنوب الغربي من بلاد دارفور وامرهُ ان يمضي اليها حالاً لمحاربة السلطان هرون الذي كان يحاول استرجاع تلك البلاد من يد الحكومة المصريَّة. وان يقابلهُ قبل ذلك على النيل الابيض ويسمع ما يأمرهُ بهِ. فقابلهُ وكان مع غوردون باشا حسين باشا حلمي الجويزر ويوسف باشا الشلالي . واتفق مرةً ان سلاتين كان جالسًا في سفينة معهم وكان بجانب يوسف باشا الشلالي كأس فطلب منهُ سلاتين ان يملأها لهُ ماء فالتفت اليهِ غوردون باشا وانتهرهُ باللغة الفرنسويَّة قائلاً ان الذي تخاطبهُ ارفع منك مقامًا ولو رأيتهُ اسود اللون. فاعتذر سلاتين بالعربيَّة ليوسف باشا عما فرط منهُ . ثم شرح لهُ غوردون باشا احوال دارفور وامّل منهُ ان يتغلب على السلطان هرون فتطفأ نيران الحرب بعد ان استعرت زمانًا

طويلاً . وذكر لهُ امر سليمان بن الزبير باشا وقال انهُ سيُقهَر قريباً ويضطر إلى التسليم ان لم يُقتل . ثم ودعهُ ودعا لهُ وعاد إلى الخرطوم . وسار سلاتين إلى مديريتهِ في دارفور

وكان استيلاء الحكومة المصريَّة على دارفور على هذه الصورة

كانت هذه السلطنة ممتدَّة في قارَّة افريقية من شرقيها إلى غربيها ثم تفلَّص ظلها عن النيل الابيض في القرن السابع عشر . وخسرت بلاد كردفان سنة ١٧٧٠ للبلاد ثم استردتها بعد خمس سنوات وبقيت في يدها الى ان اخذها منها محمود بك الدفتردار سنة ١٨٢٢ وهو الذي حُرِق حيًّا في شندي

وفي بلاد دارفور جبال مرَّة وهي وعرة المسالك يعلو بعضها سبعة آلاف قدم عن سطح البحر وبينها اودية خصيبة تعمها السيول وقت المطر ويزرع فيها القمح والشعير والدخن . فلما اتسعت فتوحات الحكومة المصريَّة تحصَّن سلاطين دارفور في تلك الجبال وبقيت البلاد حولها في حوزتهم . ويقال ان اصلهم من الطناقرة عرب تونس وقد هاجروا منها في القرن الرابع عشر ونزلوا في برتو ووداي وبلغ اثنان منهم السند الغربي من جبل مرة وهما اخوان اسماهما علي واحمد . قيل وتزوَّج عليٌّ بفتاة بديعة الحسن فاحبت اخاهُ احمد وكاشفتهُ بغرامها فانكر عليها ذلك ولكنهُ وعدها ان يكتم سرَّها فأعمى الحب بصيرتها وعزمت ان تنتقم منهُ فأتت زوجها واخذت عليهِ ايمانًا مغلظة ان لا يبوح بما تسرُّهُ اليهِ ثم اخبرتهُ ان اخاهُ راودها عن نفسها . فأخذ الغمُّ من عليٍّ كل ماخذ لانهُ كان يحب اخاهُ ويثق بهِ ويعتمد عليهِ ولم يصدق كل ما قالتهُ لهُ ولكنهُ ارتاب في الامر . ولما رأى احمد ان امرأة اخيهِ استاءت منهُ جعل يترضَّاها بكل جهدهِ ورأى اخوهُ منهُ ذلك فتقوَّى الشك في نفسهِ وصدَّق ما قالتهُ زوجتهُ وامر ان تقوَّض خيامهم ويرحلوا من ذلك المكان وتأخر مع اخيهِ وأخذ يخاطبهُ في بعض الشؤون ثم استلَّ سيفهُ فجأةً وضرب بهِ رجلهُ اليمنى فعرقبهُ وتركهُ على هذه الحالة . وكان احمد من الانفة على جانب عظيم فلم يفه ببنت شفة بل صبر على الضيم وجلس ينتظر الموت والدم ينزف من عقر رجلهِ . ولهذا سمي احمد المعقور

ولم يكن من قصد عليٍّ ان يقتل اخاهُ بل ان يبعدهُ عنهُ فارسل اليهِ اثنين من عبيدهِ ومعهما بعيران وناقتان وقال لهما فتشا عنهُ وافعلا ما يأمركما بهِ ولكن لا تأتيا بهِ اليَّ . ثم طلَّق امرأتهُ وضرب في البلاد غربًا . ووجد العبدان احمد وقد أُغمي عليهِ ممَّا نزف من دمهِ فساعداهُ حتى افاق واتيا بهِ إلى اقرب بلد وعلم ملك تلك البلاد بامرهِ وكان من عبدة الاصنام فقرَّبهُ منهُ واحسن اليهِ ثم جعلهُ مدبِّرًا لامورهِ فاحسن السياسة واصلح البلاد فاحبهُ

اهاليها وملكوهُ عليهم بعد موت ملكهم. وبلغ ذلك الطناقرة الذين في بورنو ووداي فتقاطروا إِلَى بلاد دارفور وسكنوها وانقرض اهلها الاصليون حتى لم يبقَ منهم الاَّ بقيَّة قليلة في غربي البلاد عليها رئيس يسمَّى السلطان ابو ريشة ويلقَّب بالجاموس الاصفر

وحكم احمد المعقور سنين كثيرة وافلحت البلاد في ايامهِ. ورفع ابن ابنهِ السلطان دالي شأن المملكة وجمع العلماء والفهماء والَّف كتاب دالي المشهور في الاحكام الشرعيَّة. وسار خلفاؤُهُ في خطتهِ حتى اواسط هٰذَا القرن ومن اشهرهم السلطان سليمان وفي ايامهِ عمَّ الدين الاسلامي البلاد كلها. وخلفهُ ابنهُ موسى وخلف موسى ابنهُ احمد بكر وهٰذَا بذل جهدهُ في ادخال الاجانب إِلَى بلادهِ حاسبًا انها تصلح على يدهم. وخلفهُ ابنهُ محمد دورا وكان لهُ مئة اخ فقتل خمسين منهم ثم قتل ابنهُ لانهُ خاف ان يخرج عليهِ. وخلفهُ ابنهُ عمر ليلى فزحف بجنودهِ عَلَى وداي فقتل فيها وخلفهُ عمهُ ابو القاسم فقتل في حملة وداي ايضًا وخلفهُ اخوهُ محمد تراب وكان شجاعًا باسلاً نعزم في أُخريات ايامهِ عَلَى توسيع مملكة دارفور وارجاعها إِلَى حدها الاول فقام بخيلهِ ورجلهِ وجعل يدوّخ البلدان شرقًا إِلَى ان بلغ ام درمان (عاصمة التعايشي الآن) وحاول ان يعبر النيل فعجز عن ذلك ورأى رؤَساء جيشهِ ان لا بدَّ لهم من العودة وهو لا يطاوعهم فطلبوا من زوجتهِ خديجة ان تدس لهُ السم لكي تنجي رجالهُ من الملكة وبلادهُ من الخراب ففعلت وخلفهُ اخوهُ عبد الرحمن. ولم تزل الآبار الَّتي حفرها السلطان محمد تراب جنوبي ام درمان إِلَى هٰذَا اليوم. وحُنطت جثتهُ ودفنت في قبور سلاطين دارفور في جبل مرَّة

ولما عاد عبد الرحمن إِلَى دارفور وجد ان اسحق بن اخيهِ قد قبض عَلَى زمام الملك فثارت الحرب بينهما وقتل اسحق فاستتبَّ الملك لعمهِ عبد الرحمن

وكان لعبد الرحمن جارية سوداء بديعة المنظر طيبة الاخلاق فاقترن بها واولدها ابنًا في شيخوختهِ سماهُ محمد الفضل

وعبد الرحمن هٰذَا هو الذي بعث سنة ١٧٩٩ يهنيء نبوليون بونابرت بتغلبهِ عَلَى الديار المصريَّة وفي ايامهِ انتقل كرسي المملكة من القبة إِلَى الفاشر. ولما دنت وفاتهُ نصَّب ابنهُ محمد الفضل مكانهُ وكان ولدًا صغيرًا فاقام عليهِ قيمًا رئيس الخصيان. واستقل هٰذَا الفتى بالملك لما كان لهُ ثلاث عشرة سنة من العمر واول شيء فعلهُ انهُ حرَّر قبيلة امهِ وحرَّم اخذ العبيد منها. ثم افسد المفسدون بينهُ وبين رئيس الخصيان وثارت الحرب بينهما فتغلب عَلَى رئيس الخصيان واخذهُ اسيرًا وقتلهُ

وكان في جنوبي دارفور قبائل من العرب اصلهم من رجل اسمهُ رُزَيق جاء البلاد بأبنائهِ الثلاثة منذ مئات من السنين وهم محمود وماهر ونوَيب فأقاموا فيها وصاروا قبائل كبيرة يخشى شرُّها . وقد حاول سلاطين دارفور مرارًا كثيرة ان يتسلطوا عليهم فلم يقدروا فعزم السلطان محمد الفضل ان يوقع بهم فجمع جيشًا عظيمًا وزحف بهِ عليهم واحاط بهم احاطة السوار بالمعصم واثخن فيهم ولم يستحيِ الاَّ النساء والاحداث فتكاثروا ثانية . واسم ابنائهم المحامد والماهرة والنوَيبة نسبة الى محمد وماهر ونويب ابناء رُزَيق و يطلق عليهم كلهم اسم الرزيقات نسبة الى جدهم الاول وهم من عرب البقارة اي اصحاب البقر من غربي السودان

وتوفي السلطان محمد الفضل سنة ١٨٣٨ وخلفهُ ابنهُ حسين فبذل جهدهُ في اصلاح مملكتهِ ولكن كُمَّ بصرهُ سنة ١٨٥٦ فاشرك اخاهُ زمزم في الملك معهُ وكانت فاسدة السيرة كثيرة الاسراف والترَف فأنفق اكثر دخل السلطنة في بلاطها . وكانت ولايات بحر الغزال تابعة لسلطنة دارفور تؤدي اليها الجزية من العبيد والعاج واذا تأخرت عن ادائها زحف عليها سلاطين دارفور ونهبوها و باعوا الاسلاب من العبيد والعاج للتجار المصريين واخذوا بدلاً منها اسلحة وحلًى وامتعةً فاخرة

وفي تلك الاثناء خرج شاب اسمهُ الزبير من مدينة الخرطوم ومضى إلَى بلاد النيل الابيض وبحر الغزال فاتَّجر بالرقيق والعاج واثرى وتسلط عَلَى بلاد بحر الغزال بجدهِ واقدامهِ وصار من اشهر رجال السودان وجعل يتقدَّم نحو بلاد دارفور وكتب إلَى سلطانها يقول ان الزنوج عبدة الصنم يحلُّ للمسلمين استعبادهم فاجابهُ السلطان يقول لقد اصبت ولذلك يحلُّ لنا استعباد العبيد و باعة الخيل . مشيرًا بذلك الى الزبير نفسهِ لانهُ من الجعالين الذين يقول اهالي دارفور انهم من باعة الخيل . ولما رأى سلطان دارفور ان الزبير استولى على كل بلاد بحر الغزال الَّتي كانت تدفع الجزية لهُ ولم يعد يأتيهِ منها عبيد ولا عاج ضاعف الجزية على شعبهِ لتقوم بنفقات بلاطهِ فعلت شكواهم وكثر تذمرهم

وكان في بلاط السلطان حسين فقيه اسمهُ محمد البلالي من البلاليَّة الساكنين في وداي وبرنو فقرَّبهُ واعتمد عليهِ فاغاظ ذلك اخاهُ ووزيرهُ احمد شتا واضطراهُ الى طردهِ . فاتى الخرطوم واغرى الحكومة بالاستيلاء على بحر الغزال وحفرة النحاس بناء على انهما خرجتا من قبضة سلطان دارفور . فارسلتهُ مع فرقة من الجنود المصريَّة للاستيلاء عليهما فنشبت الحرب بينهُ و بين الزبير ودارت الدائرة عليهِ الاَّ ان الزبير خاف العواقب فاحسن الى رجالهِ وترضى الحكومة واقنعها ان البلالي هو المعتدي فعفت عن الزبير وجعلتهُ مديرًا على بحر الغزال

فحسَّن لمدير عموم السودان الاستيلاء على سلطنة دارفور كلها وتطوَّع لذلك فأُذن لهُ بالزحف عليها وكان ذلك في اوائل سنة ١٨٧٣

قلنا ان سلطان دارفور اتخن في عرب الرزيقات واضطرهم الى الطاعة فلما احسوا منهُ بالضعف حاولوا الخروج عليهِ وطردوا جباة الضرائب واخذوا يعتدون على القوافل واوقعوا بقافلة آتية من كردفان الى بحر الغزال وقتلوا بعضاً من رجالها وكانوا من اقارب الزبير. فطالب الزبير سلطان دارفور بهم لانهُ عدَّ عرب الرزيقات من رعيتهِ فلم يجبهُ السلطان الى طلبهِ . فعزم على الانتقام منهُ وشنّ الغارة على دارفور نفسها

وتوفي السلطان حسين في اوائل سنة ١٨٧٣ وخلفهُ ابنهُ ابرهيم . والتقى سلاتين باشا بعد ذلك برجل من عملاء دارفور فاخبرهُ ان السلطان حسين قال لهُ في اخريات امرهِ ان الزبير ورجالهُ سيكونون آلةً في يد الحكومة المصريَّة لنيل عرشهِ وكان يطلب من الله ان لا يحدث ذلك في ايامهِ فكان كما قال

وزحف الزبير برجالهِ على حدود دارفور فانفذ اليهِ السلطان ابرهيم وزيرهُ احمد شتا وهو ابو زوجتهِ واسمها أم جدَّين وكان هذا الوزير واجداً على صهرهِ فاخبر ذويهِ انهُ لا يقصد ان يتغلب على الزبير بل ان يموت شريفاً في حومة الوغى . وبعث عرب الرزيقات الى الزبير يقولون "جنود سلطان دارفور زاحفة عليك وكلكم لنا عدوٌّ فان غُلبتَ اقتفينا اثرك واعملنا سيوفنا في رجالك وان غلبتَ انضممنا اليك وساعدناك على اعدائك وشاركناك في غنائمهم". فرضي الزبير بذلك. واقبلت فرسان دارفور بالدروع والخوذ والمغافر وسروج خيلها مرصعة بالذهب والفضة وامامها الوزير احمد شتا فقابلها الزبير ورجالهُ باطلاق البنادق فانهال عليها الرصاص انهيال السيل وقُتل الوزير وتأياهُ الملك سعد النور والملك النحَّاس ففشل الجنود وتقهقروا ثم تفرقوا ايدي سبا وكان فرسان الرزيقات لهم في الكمين فهبوا في وجوههم على ضوامر خيلهم واتخنوا فيهم وغنموا منهم غنيمة وافرة وانضموا الى رجال الزبير من ذلك اليوم

وبعث الزبير إلى الأبيض والخرطوم يبشر رجال الحكومة المصريَّة بهذا النصر المبين وطلب ان يجدودهُ بالرجال والمدافع فجاءهُ مدير الأبيض بثلاثة آلاف من الجنود المنظمة وكثير من الجنود غير المنتظمة فزحف بهم على مدينة دارة وامتلكها وتحصن فيها. فجمع السلطان ابرهيم كل جنودهِ وقام بهم للملاقاتهِ ثم تقدم مع شرذمة منهم إلى دارة لكي يستطلع احوالها فقابلهُ جنودها باطلاق الرصاص وقتلوا كثيرين من حاشيتهِ فاضطرَّ ان يعود إلى معسكرهِ وظن رجالهُ انهُ حمل على المدينة وردَّ عنها فتكلموا على مسمع منهُ كلاماً

اغاظهُ قامر بقتل بعضهم في الحال فتركهُ كثيرون منهم . ولما رأى ذلك عاد برجالهِ إلى متواشي حاسباً ان الزبير سيخرج في اثرهِ من دارة فيعود عليهِ ويهاجمهُ في عرض البرّ بدلاً من مهاجمتهِ داخل الحصون . وكان الزبير قد بثَّ عيونهُ وارصادهُ وعلم كل ما جرى في معسكر دارفور فاقتفى اثرهُ وبرز اليهِ السلطان ابراهيم مع ابنائهِ وخدمهِ واستلَّ سيفهُ وشهم شهمة الابطال ونادى اين سيدكم الزبير ولم يكن الآ كلمح البصر حتى انهال عليهِ الرصاص كالسيل فسقط قتيلاً هو وبنوهُ واتباعهُ وانتهت بهِ دولة سلاطين دارفور . وامر الزبير الفقهاء فاخذوا جثتهُ وغسلوها وصلوا عليها ودفنوها بما يليق من الاكرام . واسرع الى الفاشر عاصمة السلطنة وغنم ما فيها من الحلى والجواهر والجواري والامتعة الثمينة وفرَّقها على رجالهِ وكان قد ارسل يخبر الحكومة بانتصارهِ فاسرع اليهِ اسمعيل باشا ايوب لكي لا تفوتهُ الغنيمة فوجد انهُ قد استولى عليها كلها واهدى اليهِ الزبير جانباً منها ولكنهُ لم يكتفِ بذلك بل حقد عليهِ من ذلك الحين

وانعمت الحكومة المصرية على الزبير بلقب باشا بعد ان تمكن من اخضاع كل سلطنة دارفور واسر حسب الله عم السلطان ابرهيم وعبد الرحمن شقيق اخاهُ وارسلهما الى مصر فاتا فيها . وامرهُ اسمعيل باشا ايوب ان يقيم بجنودهِ في دارة فكبر عليهِ ذلك واستأذن الخديوي اسمعيل باشا بالمجيء الى مصر فاذن لهُ فاناب ابنهُ سليمان عنهُ وجاء الى القاهرة وشكا مما لقيهُ من اسمعيل باشا ايوب فاستدعتهُ الحكومة الى مصر ايضاً فلم يعسر عليهِ ان يشكو الزبير كما شكاهُ ونتج عن ذلك ان ابقتهما الحكومة كليهما في القاهرة وعينت حسن باشا حلمي الجويزار مديراً على دارفور وكان اهاليها قد سئموا من فساد الاحكام وظلم الحكام وتاقوا الى السكينة فرحبوا بالحكومة المصرية ولكن لم يطل الامر عليهم حتى وجدوا رجالها وجنودها اثقل وطأة عليهم من حكامهم الاولين فبايعوا هرون الرشيد ابن سيف الدين سلطاناً عليهم وهجموا على حاميات الحصون وعُين غوردون باشا حينئذٍ مديراً عاماً على السودان فاسرع الى دارفور واخمد الثورة بحكمتهِ ولطفهِ ولما رأى ان لابدَّ من تخفيض الضرائب لفداحتها ارجع جانباً كبيراً من الحامية الى الابيض والخرطوم ثم اضطرَّ ان يعود الى الخرطوم فترك حسن باشا حلمي مديراً على دارفور . وبقي السلطان هرون يغزو البلاد كلما سنحت لهُ الفرصة ويعود منها بالغنائم

قلنا ان الزبير باشا عين ابنهُ سليمان نائباً عنهُ فلما رأى ان الحكومة المصرية أبقت اباهُ في القاهرة اغاظ وجمع اربعة الآف من رجالهِ وخيَّم بهم امام دارة وعزم على مناوأة الحكومة واشار عليهِ رجالهُ ان يقبض على غوردون باشا ويستفكَّ بهِ اباهُ ثم يستقلَّ في البلاد وكان غوردون على اربع ساعات من دارة فقام مع رجلين من رجالهِ واسرع اليها

ومرَّ بين جنود سليمان فجأةً وكانوا مصطفين ثلاثة صفوف وجعل يحييهم يمينًا ويسارًا ودخل الحصن بغتةً فاطلقت المدافع ترحيبًا بهِ قبل ان ينتبه الضباط الى ما عوَّلوا عليهِ. ثم ارسل واستدعى قواد ذلك الجيش فجاءهُ نورانقرا وسعيد حسين وتبعهما سليمان بن الزبير فحيوا التحيَّة المعتادة وامرلهم بالسكائر والقهوة وسألهم عن احوالهم ووعدهم خيرًا ثم صرفهم وابقى سليمان عندهُ فاخبرهُ بما بلغهُ عنهُ ونصحهُ ان لا يصغي الى مشيري السوء الذين يسوّلون لهُ الخروج على الحكومة وحذرهُ عواقب ذلك . وبعد حديث طويل سامحهُ عمَّا فرط منهُ وسمح لهُ بالرجوع الى رجالهِ . ثم استدعى سعيد حسين وسألهُ عما يراهُ من امر سليمان فقال لهُ انهُ غير راضٍ ولا يزال عازمًا على مناوأة الحكومة . فعينهُ مديرًا على شكا وامره ان يذهب اليها حالاً بمن يشاء من الرجال . ثم استدعى نورانقرا وسألهُ عمَّا يراهُ من امر سليمان فقال انهُ محاط برجال فاسدي الرأي فلا يصغي الى مشورة الصادقين . فعينهُ مديرًا على سرقا واربو في غربي دارفور واطلقهُ ليذهب اليهما حالاً بمن شاء من الرجال وبلغ سليمان ان رئيسي جيشهِ اطاعا الحكومة وعُينا مديرين فعنفهما على ذلك وذكَّرهما بما نالاهُ من فضل ابيهِ فقالا لهُ لولانا ما نال ابوك شيئًا ممَّا نالهُ من الاسم والمنزلة وافترقا عنهُ على هذه الصورة من الجفاء فنجح غوردون في تفريق شمل سليمان ثم ارسل اليهِ ثانية وابان لهُ خطر الحالة التي هو فيها وحثهُ على الخضوع للحكومة ووعدهُ خيرًا . وامرهُ ان يذهب الى شكا برجالهِ وينتظرهُ فيها فامتثل وذهب اليها وجاءها غوردون بعد ذلك ولما رآهُ خالدًا الى السكينة عينهُ مديرًا على مديريَّة بحر الغزال واعطاهُ لقب بك ففرح بهذا اللقب وعاد الى بلادهِ

وفي بحر الغزال قبائل مختلفة من الزنوج كانت عائشة مستقلةً الى ان دخل البلاد عرب الدناقلة والجعالين لجلب العبيد منها فاقاموا فيها واستكوها . ويقول الجعالون انهم من ابناء العباس عم الرسول ويفاخرون الدناقلة بذلك ويقولون ان الدناقلة من نسل العبد دنقل الذي حكم بلاد النوبة وكان يؤدي الجزية الى بحنيس مطران القبط . وبنى دنقل مدينة دنقلة فسمي اهالي تلك البلاد دناقلة وهم يفتخرون باصلهم العربي ولكن الجعالين يحتقرونهم ويعيرونهم بجدهم دنقل كما تقدَّم

فلما وصل سليمان الى بحر الغزال نشر في البلاد انهُ عُين مديرًا لها وأرسل يستدعي اليهِ ادريس بك الابتر وكان الزبير قد عينهُ وكيلاً عنهُ في بحر الغزال وهو دنقلاوي . فاشار عليهِ اصحابهُ ان لا يلبي دعوة سليمان ثم خاف العاقبة فهرب الى الخرطوم ووشى بسليمان وقومهِ . وسيأتي الكلام على ذلك وعلى قيام المهدي وانتشار دعوتهِ في الجزء التالي